جمهورية مصر العربية	4 **رمضان** 1440**هـ**
وزارة الأوقاف	10 **مايو** 2019**م**

(1)

رمضان شهر العتق من النار

الحمد لله ربِّ العالمينَ، القائلِ في كتابه الكريم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ ، القَائِل: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعـــد:

فلقد اختص الله (عز وجل) شهر مضان المبارك بعطايا ومزايا ليست لغيره من الشهور ، منها أنه **شهر الهداية** الذي أنزلت فيه الكتب السماوية ، حيث يقول الحق سبحانه : {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ..}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأُنْزِلَ الْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ لِثَمَان عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ).

ومنها أنه **شهر الدعاء** : فالدعاء من أعظم الطاعات ، وأجل القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه ، والمتأمل في كتاب الله (عز وجل) يجد أن آية الدعاء قد توسطت آيات الصيام ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}، وفي ذلك إشارة إلى أن دعاء الصائم أرجى للقبول ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (للصائم دعوة لا ترد) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ ، الإِمَامُ

العَادِلُ ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الغَمَامِ ، وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ الرَّبُّ (عَزَّ وَجَلَّ) : وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ).

ولعل من أهم هذه الخصائص أن الله (عز وجل) قد جعل رمضان **شهر العتق من النار** ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ ، وَمَرَدَةُ الْجِنِّ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجِنَانِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ ، وَنَادَى مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ لِلَّهِ عز وجل عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءَ ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ)، والمقصود بالعتق من النار أن مَن منَّ الله (عز وجل) عليه بهذه المنقبة العظيمة ، والنعمة الجليلة لن يدخل النار أبدًا .

فالصوم أحد أبواب الخير ، وخصاله التي تقي العبد من عذاب النار ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (الصَّوْمُ جُنَّةٌ – أي وقاية – يَسْتَجِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا) .

وعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه) قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فِي سَفَرٍ ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ خَلِيًّا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ، وَيُبَاعِدُنِي عَنْ النَّارِ ، قَالَ: (لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ ، تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ..) ، كما أن الصوم هو أحد الشفعاء الذين يقبل الله (عز وجل) شفاعتهم يوم القيامة، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ الصِّيَامُ : أَيْ رَبِّ ، مَنَعْتُهُ

الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ) قَالَ: (فَيُشَفَّعَانِ).

كما أن الصوم سبب **من أسباب المغفرة** ، وطريق من طرق الجنة ، فلقد وعد الحق سبحانه عباده الصائمين بالمغفرة والأجر العظيم ، فقال تعالى : {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) ، بل إن هناك ليلة واحدة من رُزِقَ إِحْيَاءَهَا بالقيام والقرآن والدعاء ، وَوُفِّقَ لطاعة الله (عز وجل) فيها غُفِرَت ذنوبه ، وهي ليلة القدر ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ).

وفي بيان أن الصوم **طريق من طرق الجنة** يقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا ، أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَأَلَانَ الْكَلَامَ ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ ، وَصَلَّى وَالنَّاسُ نِيَامٌ) ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أن رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سأل الصحابة يومًا : (مَنْ أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنْكُمْ صَائِمًا؟) ، فقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا، قَالَ : (مَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا ، قَالَ : (مَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا ، قَالَ : (مَنْ أَطْعَمَ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا ، فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا اجْتَمَعَت هَذِهِ الْخِصَالُ

فِي رَجُلٍ فِي يَوْمٍ ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ) ، ولما جاء أبو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيّ (رضي الله عنه) إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يسأله : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مُرْنِي بِعَمَلٍ أَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، فَقَالَ : (عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ) .

إن الصوم سرٌّ بين العبد وربه ، لا يطلع على حقيقته أحد ، فالصائم قد يخلو بنفسه ولا يراه أحد إلا الله (عز وجل) ، وبإمكانه أن يتناول ما حرَّم الله عليه بالصيام، فلا يفعل ، لأنه يعلم – علم اليقين – أن له ربًّا يطَّلع عليه في أمره كله ، فيترُكُه لله خوفًا من عقابه ، ورغبةً في ثوابه ، وثقة في معية الله سبحانه ، يقول الحق سبحانه : {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} .

والصوم من العبادات التي شرفها الله تعالى بنسبتها لنفسه ، وجعل جزاءها له سبحانه ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : قال الله (عز وجل) : (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصّوم ، فَإِنَّهُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) ، وفي رواية : (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ، قَالَ اللَّهُ تعالى: إِلاَّ الصَّوْمَ ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِى بِهِ ...)، لذا يقول أهل العلم : كفى بقوله سبحانه: (الصوم لي) فضلًا له على سائر العبادات ، وقيل: إن سبب هذه الإضافة أن الصيام لم يعبد به غير الله تعالى ، فالصوم عبادة خالصة لله ، لا يدخلها الرياء ، وقيل: إنه أحب العبادات (عز وجل) .

فالصائم دائم المراقبة لربه سبحانه ، حريص على أن يغتنم هذا الشهر المبارك، فيعرض نفسه لنفحات الله تعالى فيه ، رجاء أن يكون من عتقاء الله من النار .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلامًا على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن الصيام الذي يكون سببا للعتق من النار هو الصيام الذي يمنع صاحبه من كل سلوك سيئ يحول بينه وبين المعاصي ، ويحقق له التقوى التي هي غاية الصيام وثمرته ، فلا يأكل الحرام ، ولا يخوض في الأعراض ، ولا يغتاب أحدًا ، ولا يمشي بالنميمة بين الناس ، ولا يشهد الزور ، ولا يقول إلا ما يرضي الله (عز وجل) ، ولا يرد السيئة بمثلها ؛ إنما يدفعها بالتي هي أحسن ، متخلقًا بأخلاق الصائمين ، قال تعالى: {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ}، وقال سبحانه : {وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}، وقال (جل شأنه) :{ادْفَعْ بِالَّتِي هي أحسن السيئة}، وقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ ، وَلاَ يَصْخَبْ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ؛ إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ ...) ، وإن من أسباب العتق من النار أن يذب المسلم عن عرض أخيه الغائب ، قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بِالْغِيبَةِ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ) .

إن الصائم الحق الذي ينتفع بأجر الصوم هو الذي يظهر أثر صيامه في سلوكه وتعامله مع الناس ، حيث إن الصيام يُعَوِّد صاحبه على الإمساك بزمام نفسه ، والسيطرة عليها ، وضبطها حتى تبلغ ما فيه خيرها وسعادتها في الدنيا والآخرة ، فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ، فإذا أطلق المرء لنفسه عنانها أوقعته في المهالك ، وإذا ملك أمرها وسيطر عليها تمكن من قيادتها إلى أعلى المراتب وأسنى

المطالب ، وهذا لا يتحقق إلا لمن صام صومًا حقيقيًّا ، مستشعرًا عظمة ربه بذلك ، وقد صام بطنه وفرجه ولسانه وجميع جوارحه عن كل ما حرم الله (عز وجل) .

كما أن الصائم الحق هو من يحسن عمله ، ويخلصه لربه ، وينشغل بقبوله ، فهذا خليل الرحمن سيدنا إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) يسأل ربه القبول ، وهو يؤدي عملًا جليلًا أمره الله (عز وجل) به ، ألا وهو بناء الكعبة المشرفة ، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى : {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.

وكان سيدنا علي (رضي الله عنه) يقول: كونوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل ، ألم تسمعوا قول الله تعالى : {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}.

اللهم اجعلنا من عتقائك من النار ومن المقبولين .

(7)